مبنى قصيدة وصف الطبيعة في شعر ابن خفاجة الأندلسي دراسة تحليلية

الأستاذ المساعد الدكتور

خالد لفته باقر

جامعة البصرة/ كلية الآداب

ملخّص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة شعر وصف الطبيعة عند ابن خفاجة الأندلسي ؛ لغرض تحليل البنية الفنية في هذا النمط من شعره ، ؛ لأنَّ ابن خفاجة يعدُّ من أعظم شعراء الأندلس في هذا الفن ، وكان شعره رمزاً للسحر الآسر ، والجمال الأخَّاذ في الوصف ، وتمثل الطبيعة عنده مصدر إلهام لفنه الشعري ، ولها أبلغ الأثر في تنمية موهبته الفنية ، فاندمج في طبيعتها البهية ، وشغف بها حبَّاً ؛ حتَّى لقِّب ب (جنان الأندلس) ، وعلى هذا الأساس برزت أهميتنا بفنه .

The Structure Of Poetry Description Of nature of IBN KHAFAJAH AL-ANDALUSI (AN ANALITIC STUDY)

DR .
KHALID LAFTAH BAQIR
Basrah University – College Of Arts

Abstract

The aim of the study is to tackle the structure of nature poetry description of IBN KHAFAJAH AL – ANDALUSI and the analysis of the artistic structure in the type of his poetry . IBN KHAFAJAH can be regarded as the greatest poet in Al- Andalus in describing the nature of his poetry which is considered as a symbol for a attractive magic and beauty of nature and it regards as source of inspiration for his poetry . His poetry has a great influence on his style so he has been given a surname as (guardian of Al-Andalus) .for this reason we pay him more attention .

إذن ما معنى البناء في قصيدة وصف الطبيعة في شعر ابن خفاجة ؟ البناء هو الصياغة أو الأسلوب الذي يشكل به الشاعر قصيدته ، وهو ليس العنصر الوحيد الذي يقوم عليه هيكل القصيدة ، بل هنالك مجموعة عناصر تقوم بينها علاقات خارجية وداخلية بمعنى علاقات شكلية ومضمونية متواشجة لغة ودلالة وإيقاعاً وصورة وعاطفة وأفكاراً ، فتضافر هذه العناصر هو الذي يؤدي إلى خلق قصيدة ذات نسيج متلاحم يتمثل من خلال النماذج الشعرية في نمط موسيقاها ، ذات القافية الموحدة والوزن الواحد المؤتلف سواء أكانت القصيدة متعددت الأغراض أم ذات غرض واحد ، وغالباً ما تكون مقطعات ابن خفاجة ذات موقف ورؤية ومشاعر وأحاسيس واحدة في موضوع خاص ، ومن هنا كان التجانس حاضراً في هذه المقطعات ، على العكس مما هو عليه الحال في القصائد المتعددة الأغراض ، شأنها في ذلك شأن القصيدة العربية القديمة ، لقد شغف ابن خفاجة ديوانه بنظرية نقدية ، تعدُّ أبدع ما أنتجته العقلية الأندلسية خاصة ، والعربية عامة في مجال وصف الطبيعة ، حذا فيها حذو شعراء المشرق : كالرضي والصوري والصنوبري ومهيار الديلمي ، فهو أبدع أهل الأندلس نظماً ونثراً ونقداً وحكماً ، أناف على معاصريه ، وبزَّهم في ميدان وصف الطبيعة الأندلسية الساحرة وله فضل باهر فيما سطره من جواهر شعره ، وسنقوم بتحليل هذه المعادن النفيسة ، وإن لم نستقص جميعها ، وهذا القليل يعرب عن الكثير، ولو قلت إنَّه أشعر أهل الأندلس لم أكن مجانفاً للحقيقة وبعيداً عن الصدق .

وقد عني النقاد القدماء بالبنية وهي شرط أساس من شروط نظم الشعر فضلاً عن المقومات الأخرى التي يكمل بعضها بعضاً ، يرى ابن طباطبا العلوي أنَّ بناء القصيدة يمرُّ بثلاث مراحل هي: الأولى : مرحلة الفكرة والتهيؤ العروضي ، والثانية مرحلة الصياغة ، والثالثة مرحلة التثقيف والتهذيب والتنقيح والمعاودة ، بعد الإلمام (بأدواته اللغوية التي تتصل بالمقدرة التعبيرية ، فاللغة هي القالب الذي يصوغ الشاعر فيه معانيه وأحاسيسه وعلى قدر معرفته باللغة ، وإحساسه الدقيق بأسرارها تكون مقدرته التعبيرية ، فكثيراً ما نجد الشاعر بارعاً في استخدام اللغة ، مما يضفي على معانيه رونقاً ، ويكسبها قوة ، لأنَّه يدرك بفطرته وتمكنه اللفظ الأليق بموضوعه وبمعناه ، ومن هنا أيضاً يتضح الفارق بين المتمكن وغير المتمكن ، إذ تبدو ألفاظ غير المتمكن قلقلة غير موافقة) [١] .

وقد تحدث الجاحظ عن ذلك ، وبين أنَّ هناك تبايناً بين ما هو مستكره إذا وقعت ألفاظ البيت من الشعر غير متماثلة ، إذ يقع بينها من التنافر ما يحصل بين أبناء العلَّات ، ويؤدي ذلك إلى مشقة في النطق وكلفة ، إذ أكَّد قائلاً : (وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنَّه أفرغ إفراغاً واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان) [٢] .

وعالج أبو هلال العسكري موضوع صنعة الشعر وترتيب الكلام ، مركزاً على إجالة المعاني في الفكر ، والتنوق في اختيار الألفاظ الكريمة ، واختيار القافية المناسبة له ، ثمَّ أوصى بتنقيح القصيدة وتهذيبها مما يوجب التئام الكلام ، وقد أوصى أبو هلال قائلاً (وينبغي أن تجعل كلامك مشتبهاً أوَّله بآخره ، ومطابقاً هاديه لعجزه ، ولا تتخالف أطرافه ، ولا تتنافر أطراره ، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها ، ومقرونة بلفقها ، فإنَّ تنافر الألفاظ من أكبر عيوب الكلام ، ولا يكون ما بين ذلك حشو يستغنى عنه ويتمُّ الكلام دونه) [٣] . وقد حدد ابن رشيق القيرواني الشعر بأربعة أشياء هي : اللفظ والمعنى والوزن والقافية [٤] ،

وكان ابن خفاجة عالماً بهذه الأدوات النقدية ، عارفاً بها ، مستلهاً إياها في صنعته ، وقد وشَّح ديوانه بآرائه النقدية ، فجاء شعره غاية في الحسن ، وبلغ به أعلى مراتب النظم ، نظراً لرقَّة ذهنه وصفاء جوهره ،

يعدُّ أبو الفتح إبراهيم بن خفاجة المكنى بأبي إسحاق من أكبر شعراء الأندلس من حيث المقدرة الفنية في وصف الطبيعة الأندلسية إذ تمتدُّ حياته بين (٤٥٠هـ.٥٣٣هـ) ، كانت ولادته في مدينة شقر [٥] ، وهي رمز للسحر والجمال الأخَّاذ والآسر ، لغزارة أشجارها وكثرة أزهارها ، وأنداء أفيائها الوارفة ، فتغنى برياحينها ، وهام بأفيائها ، وألهمه بهاؤها ، إذ أصبحت الطبيعة الأندلسية الساحرة مصدر إلهام ووحي لفن أبي إسحاق وغيره من مشاهير أدباء الأندلس ، فهاموا ببيئتهم الخلابة الفاتنة ، ولها أبلغ الأثر في تنمية مواهبهم الفنية ،فراحوا يتأملون هذا الجمال الأخَّاذ ، فاندمجوا في طبيعتها البهية ، وشغفوا بها حبَاً ، فوصفوها بقصائد ومقطعات نالت استحسان نقادها ، ورضى معجبيها ، فتغنوا تحت ظلالها ، وأنشدوا أشعارهم طرباً ببهائها وبهجتها ، ومن هنا أصبحت البيئة الأندلسية مصدر إلهام لفنه الشعري ، وليس غريباً أن ينعته النقاد

الأندلسيون ب (جنان الأندلس) أو لقبوه ب (صنوبري الأندلس) ، ولعلَّ أفضل ما وصف به ابن خفاجة وما بلغه من مكانة سامية في عالم الفن هو ما كتبه ابن بسام إذ يقول عنه : (الناظم المطبوع ، الذي شهد بتقديمه الجميع ، المتصرف بين حكمه وتحكُّمه البديع ، تصرَّف في فنون الإبداع كيف شاء ، وأتبع دلوه الرشاء، فشعشع القول وروَّقه ، ومدَّ في ميدان الإعجاز طلقه ، فجاء نظامه أرقَّ من النفس العليل ،وآنق من الروض البليل ن يكاد يمتزج بالروح ، وترتاح إليه النفس كالغصن المروح ، إن شأت فغمزات الجفون الوطف ، أو إشارة الأنامل التي تعقد من اللطف ، وإن وصف سراه والليل بهيم ما له وضوح ، وخد الثرى بالندى منضوح ، فناهيك من غرض انفرد بمضماره ، وتجرد لحمى ذماره ، وإن مدح فلا الأعشى للمحلق ، ولا حسان لأهل جلق، وإن تصرف في فنون الأوصاف ، فهو فيها كفارس خصاف ،) [٦] . فابن خفاجة مغرى بوصف مظاهر الطبيعة الأندلسية ، كالنواوير، والأزهار، والأشجار، والأنهار والبرك ، والبحار، وما إلى ذلك من مظاهرها الحية والجامدة ، ولابن خفاجة أبيات شهيرة تدور على ألسن أهل الأندلس حين يقول : [٧] .

يـا أهلَ أنـدلس لله درَّكُـمُ ماءٌ وظلٌّ وأنهارٌوأشجـــارُ
ما جنة الخُلد إلاَّ في دياركُمُ ولو تخيَّرت هذا كنتُ أختارُ
لا تختشوا أنْ تدخلوا سقراً فليس تدخلُ بعد الجنَّةُ النار

ونتيجة لهذه المعيشة ونشأته الخاصَّة ؛ فقد نال شهرة واسعة ، فكان من أعظم ما أنتجته المخيلة الأندلسية فنيَّاً .على مر العصور في وصف الطبيعة الأندلسية بأسلوب مرن وسلس ، ذي طابع يتسم باللهو والمرح بالحياة ، ومن ثمَّ أقلع عن ذلك وتنسَّك ، وأخلص النية لله ، وآثر الوحدة والانفراد ، ونآى بنفسه عن تطورات الحياة السياسية ، لم يؤثر عنه أنَّه أراق ماء وجهه على أعتاب أمراء الطوائف والمرابطين إلاَّ ما كان من مدحه لسير ابن أبي بكر، مكتفياً بتأمُّل ما يكتنفه من عناصر الطبيعة الملهمة وأسرارها الروحية ، مصوراً هذا الانسجام الرائع بعد أن فتق الله لسانه بهذه الأوصاف ، وأنطقه بما في بيئته من سجع الحمام ، وانسكاب ماء الغمام ، وأطلق عقيرته بما فتنه من بهاء الطبيعة وسحرها الفتان ، فاغترف من فيض نعيمها صباحاً

ومساءً ، فاستدر أخلاف النظم شعراً فنياً راقياً ، وقد وشَّح ديوانه بحُرٍّ من النظم ،ساقه خلال مقطَّعاته ، كقوله في التشوق إلى الأندلس وهو بالعدوة : [٨] .

إنَّ للجنَّةِ بالأندلُـــسِ مُجْتلى حُسنٍ وريَّا نفـسِ

فسنا صبحتها ن شنب ودُجى ليلتها من لعـــــسِ

فإذا ما هبَّت الريح صبا صحتُ واشوقي إلى الأندلسِ

وذهب مع مجالس الأنس إلى أبعد غاية ، منه ما انتظم في عهد الشباب ، والقسم الآخر ما كتبه في عهد الكبروالشيخوخة ، في مختلف الموضوعات كالهزل والفكاهة والنادرة والدعابة ، وبعضه على شكل قصائد ومقطعات منفصلة ، (هو في مثل ما نُلمُّ به من طريقة عبد المحسن الصُّوري تشبُّهاً به كقولنا : [٩] .

يا بانةً تهتزُّ فينانةً وروضةً تنفحُ مِعطارا

لله أعطافُكِ من خُوطةٍ وحبَّذا نَورُكِ نُوَّارا

وإنْ كان مقولاً بطريق الفكاهةِ والنادرة والدعابة ، والشباب يومئذٍ بريعانه ، وسَوْرةِ سُلطانه [١٠] أم لعلَّ ذلك في بعض ما نحوم عليه ، ونحنُّ إليه ، من مسلك الموسوي الرضي ، كقولنا من قصيدة : [١١] .

ألا ليتَ أنفاسَ الرياحِ النَّواسِم يُحيِّينَ عنِّي الواضحات المباسمِ

ويلثمن ما بين الكثيب إلى الحِمى مواطىء أخفاف المطي الرَّواسمِ

ويرمين أكناف العقيق بنظـــرة تردد في تلك الربى والمعـــــالمِ

فما أنسَه لا أنسَ يوماً بذي النَّقى أطلْنا به للوجدِ عضَّ الأباهمِ

أمْ ذلك في بعض ما نقتفيه من طريقة مهيارونحتذيه ، كقولنا : [١٢] .

ويا بانة الوادي بمنعرج اللِّـوى أتُصغي على شحط النَّوى فأقولُ

ويا نفحات الريح من بطن لعلـعٍ ألا جاد من ذاك النسيم بخيـــلُ

ويا خيم نجد دون نجد تهامـــة ونجدٌ ووخـــدٌ لِلسُّرى وذميـــلُ

ويا ريم نجدٍ والعوادي كثيـــرة بحكم الليالي والوفاء قليـــــلُ

أمْ لعلَّ ما ينعاه وينكره ، إنَّما هو ما نحن نختاره ونؤثره ، من ذكر التلدد والتبلد في الديار

نحيّيها ، وننديها تارة ونبكيها كقولنا : [١٣] .

وتلدَّدتْ نحو الحِمى بي نظرةٌ عُذريةٌ ثنتِ العِنانَ إلى الحِمى
فلويتُ أعناقَ المَطِيّ مُعرّجاً ونزلتُ أعتنقُ الأراكَ مُسلِّما
في منزلٍ ما أوطأته حافراً عُربُ الجِيادِ ولا المَطايا مَنسِما

وهكذا يستمر الشاعر في الحديث عما يشوقه من حفيف الأراك ، وسجع الحمام ، وشكواه ، وسقوط الندى ، وما إلى ذلك من مشاهد الطبيعة الفاتنة ، ولم ينس الشاعر أن يشير إلى الأثافي جريا على عادة الشعراء القدماء ، من ذكر تحيته للحمى ، والكثيب ، وما كان منه من تقبيل رسم الدار في تيماء ، وقد أشار إلى مزج الغزل بالحماسة ، بعد أن ، أوجعه الشوق ، وبرح به داعي الصبابة ، إذ يقول : (أم ذلك فيما يشوق ، ويهزُّ ويروق ، من لفَّ الغزل بالحماسة ، وهو من أساليب أبي الطيب ، فمن قولنا في ذلك : [١٤] .

وربَّ ليالٍ بالغميم أرقتها لمرضى جفونٍ بالفرات نيامِ
ولم أدري ما أشجى وأدعى إلى الهوى أخفقت برقٍ أم غناءُ حَمامِ
إذا ما استخفَّتني إليها أريحية عثرت بذيلي لوعةٍ وظلامِ
وخضخضتُ دون الحي أحشاء ليلةٍ يُخفِّرُني فيها وميض غمامِ
فقضَّيتها ما بين رشفةِ لوعةٍ وأنَّةِ شكوى واعتناقِ غرامِ
وأحسن ما التفَّتْ عليه دُجُنَّةٌ عناق حبيبٍ عن عناق حُسامِ

لو ألقينا نظرةً عن كثب إلى هذه المقطعات ، لألفينا أنَّ الشاعر الفذَّ قد وظَّف أساليب البيان كالاستعارة المكنية وغيره من فنون التجريد والتجسيم والتقسيم ، وهذا يدلُّ على ملكة الشاعر الفنية العليا في هذه الأوصاف ، فقد أهداه إلى ذلك ثقافته الواسعة ، وخياله الخصب السامي، فترادفت في فنِّه الشعري تلك الأوصاف الرائعة ، التي تعدُّ من النماذج العليا في هذا المضمار ولا يفوتنا ذكر ما وشَّح به الشاعر شعره من مزدوج ، رغبة منه في الانتقال من فن إلى آخر لكي يدفع السأم والملل عن القاريء ، ولهذا ساق بين قصائده ومقطعاته شذوراً من نثره ذي الطبقة العالية ، ومع ذلك كان ابن خفاجة مدركاً لقواعد النقد الأدبي ، وملماً بصناعة الشعر كقوله : (إنَّه يستجاد في صناعة الشعر ، لا في النثر صناعة النثر ، أنْ يقول القائل فيه " إنّي فعلتُ " و"

إنّي صنعتُ " من غير أن يكون وراء ذلك حقيقةٌ ، فإنَّ الشعر مأخذٌ وطريقةٌ ، وإذا كان القصد فيه التخييل ، فليس القصد فيه الصدقُ ، ولا يعاب فيه الكذب ، ولكلِّ مقامٍ مقالٌ) [١٥] .

من البديهي أنْ نقول . ولسنا مغالين في ذلك . أنَّ أسلوب ابن خفاجة يتسم بتلك الطريقة الأنيقة ، والألفاظ المرهفة الرقيقة التي قلَّ نظيرها في الشعر الأندلسي خاصَّة ، والعربي عامة ، لهذه النفحات الخفاجية استحقَّ الشاعر عليها لقب (جنَّان الأندلس) أو (صنوبري الأندلس) ، إذ يجسد المفاهيم إلى أمور مادية ، ويحيل المادية إلى قضايا معنوية ، كقوله من قصيدة :

وطِبنا معاً ثغراً وشِعراً كأنَّما له منطقي ثغرُولي ثغرُهُ شِعرُ

من يتأمَّلُ شعره يرى أنَّه سلك فيه مسلكاً طريفاً لطيفاً ، يستحوذ على الألباب ، ويأخذ بمجامع النفوس ، لاستجادة كلامه ، وحسن نظامه ، وتمكُّنه من فنِّه ، ودرايته بقواعد الشعر واللغة ، واكتمال أدواته ونبلها ، لهذا تسنَّم تلك المرقبة ، وأحرز تلك المنقبة ، ولم يكن مسفَّاً ولا مسفسفاً في نظمه للشعر في أوصافه شتَّى ، وقد ينتقل من لوحة إلى أخرى ، جرياً على عادة الشعراء القدماء ، إذ جاء ابتداء القصيدة بمقدمة طللية أو غزلية أو خمرية بعد ممارسة هذه التقاليد الفنية لزمن طويل من عمر الشعر العربي ، ولكن لو أمعنا النظر في ديوان ابن خفاجة لوجدنا موضوع المقدمة الطللية يكاد يكون قليلاً ؛ لأنَّه لا توجد أطلال في حياة الشاعر خاصَّة ، وفي الحياة الأندلسية عامة ، فهي أرض مخصبة غضَّة وندية الأفياء ، وذات مروج فينانة ، وسرحات ممرعة ، وإذا ورد شيء من ذلك ، فعلى سبيل التقليد والمحاكاة لتلك النماذج العليا القديمة ، على أي حال ، يعدُّ هذا الشعر تقريراً أدبياً واضحاً وصريحاً ، يستحقُّ منا كلَّ تقدير ، نحن نشعر بعظمته ؛ لما يحتويه من عواطف جياشة ، وأحاسيس مرهفة ، ورقة في المشاعر ، كانت الأندلس عامة ، وشقر خاصَّة ، جنة من جنان الدنيا ، وصقعاً مرفهاً خلاَّباً ، وبقعة منعمة ساحرة من بقاع الأرض وأصقاعها ، فلم يمهد لها بتلك المقدمات المرعية في ذلك الزمن القديم بل يهجم على موضوعه مباشرة ، ودليلنا على ذلك قول ابن خفاجة : [١٦] .

أما والتفاتِ الرَّوضِ عن زرقِ النَّهرِ وإشرافِ جيد الغصنِ في حِليةِ الزَّهرِ
وقد نسمتْ ريحُ النَّعامى فنمَّت عُيُونَ النَّدامى تحت ريحانة الفجرِ
وخدرِفتاة قـــد طرقتُ وإنَّمـــا أبَحْتُ به وكـــــرَ الحمامةِ للصقـرِ

لقد جبتُ دون الحي كلَّ ثنيَّـــةٍ يحومُ بها نسرُ السماء على وكـــــرِ
وخضتُ ظلامَ الليلِ يسودَّ فحمةً ودست عرينَ الليث ينظرُ عن جمرِ
وجئتُ ديار الحيّ والليلُ مُطـــرقٌ منمنمُ ثوبِ الأفقِ بالأنجم الزُّهـــرِ
أشيمُ بها برقَ الحديد وربَّمـــــا عثرتُ بأطرافِ الرُّدينية السُّمـــــرِ

هام ابن خفاجة بالبيئة الأندلسية منذ نعومة أظفاره ، وتشوَّف بحبٍ إلى معالمها الساحرة ، وسحر رياضها ، وبهاء سمائها ، ورونق أنهارها ، وتألُّق رياحينها ، وتنوع أزهارها ، تطربه أسجاع حمامها ، وينشيه ميسان أغصانها ، واهتزاز تلك الأماليد الغضة البهية ، وقد وجد ابن خفاجة في الطبيعة الأندلسية مجالاً واسعاً وخصباً ليجيل خياله فيه ، كالحديث عن الروض ، وزرقة ماء النهر ، ونسيم ريح الخزامى ، وللزمن حقُّه من شعر الشاعر كالليل والنهار والفجر وللطيور مجالها الفسيح في ديوان ابن خفاجة كالنسر والصقر والحمام ، فالأندلس تربة خصبة لترعرع العواطف الإنسانية ، وهي من (أكثر الموضوعات ملاءمة للأسلوب القوي الصريح ... وهي صديقة وفية يحبونها لما تمنحهم من جمال لحسِّهم وهدوء لنفوسهم . فيستسلمون إليها ويشاطرونها المناجاة، ويبوحون إليها بعواطفهم وآلامهم ، ويصورونها بقساوتها وجمالها ، وكثيراً ما تكون ملجأ نفوسهم التعبة القلقة ، ولذا فهم يفرُّون إليها ناشدين بالقرب منها طهارة الحياة ونعيم السعادة مع من يحبون ويعشقون) [١٧] . وقد تناول الشعراء الأندلسيون وابن خفاجة خاصَّةً الطبيعة الصامتة الطبيعية ، وبعض ما اشتملت عليه في جوٍّ طبيعي ، يرفده بالسحر خيال الشاعر، وتتجلَّى في هذا الشعر روحه الشفافة المرهفة ، واستلهامه مفاتنها ،

لقد وصف ابن خفاجة الطبيعة الأندلسية ، وأحبها ، وناجاها ، وأسبغ عليها من روحه ، وعواطفه ومشاعره ، فشغف بها وبظواهرها من سحاب وأمطار، ورياح وأنهار، فابن خفاجة لم يجمد أمام مناظر الطبيعة الخلابة ، فوصف الليل وظلمته ، ووصف البرق والرعد ، والغيث ، وبكى الديار وتشوق إلى أهلها الظاعنين عنها جرياً على عادة الشعراء القدماء ، أو كان بكاؤه عليها نتيجة لما حلَّ بها من نكبات وكوارث ، بسبب الحروب التي وقعت عليهم . وكان وصفه لمظاهر الطبيعة الأندلسية موضع إعجاب وتقدير ، وهو يدلُّ على استقصائه وتفننه ، ومن الجدير بالذكر أنَّ وصف الطبيعة عند ابن خفاجة ، كان تعبيراً صادقاً عن البيئة الأندلسية ، بما أضفاه

عليها من حسه وذوقه ؛ مما جعله يستغرق في نشوة جمالها ، ويبادلها المشاعر والحب بالحب ، فهو يقدم لنا صوراً ذات حيوية ، فيها مشاركة وجدانية على نحو لم يسبق لها مثيل ، كما هو الحال في القطعة السابقة ، وهو ما نظمه على شاكلة قصيدة ابن الرومي ، التي يقول فيها : [١٨]

وقد رنَّقتْ شمسُ الأصيلُ ونفَّضتْ على الأفقِ الغربي وَرْساً مُزعْزَعَا

ونرى ابن المعتز تسحره الصورة الخلابة ، فيرد شعره في الطبيعة (آية على إرهاف حاسة البصر ، وحسن استقباله للألوان والأصباغ ، ودقة إخراجه للصور والأشكال كقوله يصف احتجاب الشمس وراء السحب : [١٩]

قد اغتدي على الجياد الضمَّرِ والصبح في طرة ليلٍ مسفرِ
كـــأنّه غـــرة مهرٍ أشقـــــرِ والوحش في أوطانها لم تعذرِ
جلا لنا وجـــه الثرى عن منظرِ كالعصب أو كالوشي أو كالجوهرِ
من أبيض أو أحمر أو أصفر وطارف أجفانه لم ينظـــرِ

وقد ائتسى ابن خفاجة بأبي بكر محمد بن أحمد الصنوبري ، الذي توفرت لديه معظم مقومات شاعر الطبيعة ، فهو شاعر الرياض والزهر والنواوير والمياه السائحات ، واتسم شعره بالصدق الفني والمشاعر الخالصة للطبيعة ، وكذلك الحال مع شاعرنا ابن خفاجة الأندلسي ، لم يكن جمال الطبيعة الأندلسية وحده هو الذي حفَّز على ازدهار شعر الطبيعة ، بل إنَّ الحياة الأندلسية اللاهية هي الأخرى ساعدت على نمو هذا الشعر وازدهاره ، (وفي أحضانها استسلم للهوه وحبه وخمره ، وعكف يصور هذا الحب وهذه الخمر في إطار الطبيعة مقدماً لنا لوحات فيها العبير والأصباغ والألوان) [٢٠] .

لقد أجمل لنا جودت الركابي الخصائص التي تميز بها شعر الطبيعة في الأندلس ، وإليك هذه الملامح والمميزات :

١- ارتبط الشعراء الأندلسيون ببيئتهم الطبيعية وإيثارها على غيرها من البيئات الأخرى ، وقد لاحظنا كيف أنَّ ابن خفاجة تعلق بالأندلس تعلقاً شديداً ، فهي جنَّة الخلد .

٢- يركز هذا الشعر على البيئة الأندلسية الطبيعية والصناعية ، فابن خفاجة يصفها كما أبـــدعها

الله سبحانه وتعالى ، من حيث سهولها وجبالها ووديانها وهضابها وبحورها وبرها ، وجميع ما فيها من حقول ورياض وأنهاروسماء ونجوم ، ومدن وقصور والمساجد والبرك والفرس ووصف الذئب وغيرذلك من الأوصاف الرائعة الأخرى . ومن ذلك في صفة فرس أشقرأغرّ: [٢١] .

وأشقرٍتُضرمُ منه الوغى بشُعلة من شُعلِ الباسِ
من جُلَّنارٍناضرٍلـــونه وأُذنُهُ مـــــن ورقِ الآسِ
يُطْلعُ لِلغُرَّةِ في شُقْــرةٍ حبابةً تضحك في كــاسِ

لو تأملنا هذه الأبيات من هذه المقطوعة ، نجد بيسر علامات وافرة تصف ألوان الفرس الكثيرة ، فهو أشقر ، من جلنار ، والخضرة المتمثلة في ورق الآس ، والبياض المتجسد في الحَباب هكذا سيطالعنا ابن خفاجة في بناء فنه على شكل مقطعات ، تفتقر إلى المقدمات الطللية أو الغزلية ، ويبدأ موضوعه مباشرة من غيرتمهيد ، كما جرت عادة الشعراء في القديم .

٣- لكل شاعر من شعراء الأندلس ولع بمدينة من المدن كما هو الحال مع ابن خفاجة الذي تغنّى (بشقر) و (بلنسية) فيصور تصويرا يعرب عن تفنن وبراعة بما يصوغه من معان في بناء قصيدته يغلب عليها طراوة الندى ، والظل والشجر ، فقال يتشوق إلى معاهده بجزيرة شُقْر ويندبُ ماضي زمانه : [٢٢] .

بين شُقرٍوملتقى نهريهـا حيث ألقت بنا الأماني عصاها
ويغنِّي المكاء في شاطئيها يستخِفُ النُّهى فحلَّتْ حُباهـا
عيشة أقبلت يشهى جناها وارفٌ ظلُّها لذيذ كراهـا
فانثنينا مع الغصون غصوناً مرحا في بِطاحها ورباهـا
فاندب المرج فالكنيسة فالشطَّ وقل آه يا معيد هواهـا
آه من غُربة تُرقرقُ بثَّـاً آه من رحلة تطول نواهـا
آه من فُرقةٍ لغيرِتـلاقٍ آه من دارلا يجيب صداها

هكذا يتجلَّى لنا فنُّ ابن خفاجة في بعض مقطَّعاته يشير إلى غناء المكاَّء ، وظلالها الوارفة ، وما انتابه من نشوة مترنحاً وكأنَّه غصن ، ولم يغفل ذكر المرج والكنيسة والشطِّ ، ثمَّ بعد هذا

كله نراه يتحسَّر على ما فاته من زمن قضاه بين ربوعها ، وما آلت إليه من فرقة وتغرب ، وكأنَّه يندب حظَّه أو يتأسف عليه بعد وفاته ، الاغتراب هنا يعني عنده الموت .

٤- يظهر شعر الطبيعة عند ابن خفاجة كغرض منفرد ، ولكن الأعم الأغلب يأتي ضمن قصائد الغزل والفخر والمديح والرثاء والعتاب والخمر، وكان الغزل من أكثر الأغراض امتزاجاً بالطبيعة .

٥- تتسم الطبيعة عندهم بالمرح والطرب ، وتصويرها يمثل الناحية المشرقة الضاحكة الطرية منها ، وأغلب شعرهم يصفون فيه متنزهاتهم ومجالس أنسهم ، وقصفهم ولهوهم في أفيائها وتحت ظلالها الندية ، كقول ابن خفاجة :

رُبَّما استضحك الحَبابَ حبيبٌ نفضت لونها عليه المُدامُ
كُلَّما مرَّ قاصراً من خُطاه يتهادى كما يمرُّ الغمامُ
سلَّمَ الغصنُ والكثيبُ علينا فعلى الغصن والكثيب السلامُ

٦- لقد ارتبط ذكر المرأة بالطبيعة في كل شعر البيئة الأندلسية ، فقد أسبغت الطبيعة على المرأة ظلَّها ، فالحبيبة شمس ، وزهرة ، وجنة ، وروض ، ولعل أصدق مثل على ذلك ما دبَّجه قلم المقري في وصفه لشعراء الأندلس قائلاً : (إنَّهم إذا تغزَّلوا صاغوا من الورد خدوداً ، ، ومن النرجس عيوناً ، ونم الآس أصداغاً ، ومن السفرجل نهوداً ، ومن قصب السكر قدوداً ، ، ومن قلوب اللوز وسر التفاح مباسم ،ومن ابنة العنب رضاباً) [٢٣] .

٧- يكثر ابن خفاجة من استخدام التشخيص والتجسيد والتجريد ، وتصوير الطبيعة على هيأة إنسانية ، مفعمة بالحركة والحيوية ، من ذلك في صفة شجرة نارنج : [٢٤] .

ألا أفصح الطير حتَّى خطبْ وخفَّ له الغُصنُ حتَّى اضطربْ
فمِلْ طَرَباً بين ظِلٍّ هفا رطيبٍ وماءٍ هناك انثعبْ
وجُل في الحديقة أخت المُنى ودِن بالمُدامة أُمِّ الطَّربْ
وحاملةٍ من بنات القنى أماليد تحمل خضر العذبْ
تنوب مُورَّقةً عن عذارٍ وتضحكُ زاهرة عن شنب
وتندى بها في مهب الصَّبا زبرجدةٌ أثمرت بالذهبْ
تُفاوحُ أنفاسها تارةً وطوراً تُغازلها من كثبْ
فتبسم في حالةٍ عن رضىً وتنظرُ آونةً عن غضبْ

الأشجار

تعدُّ شجرة النارنج من أكثر الثمار دوراناً على ألسن الشعراء ، و لاسيما وهي تتدلى في أغصانها ، (لعلَّ أكثر الثمار سحراً لناظري الشاعر هي ثمرة النارنج ، وبخاصة وهي عالقة في أغصانها ، لعلها هي وفصيلتها كلها من أمتع ما يقع عليه نظر مرتادي البساتين ، ثم فقد كانت النارنجة وأختها الأترجة من أكثر الثمار جرياناً على ألسنة الشعراء ،يحاول أن يرسم منها وهي محمولة على غصنها لوحة تسرُّ العين وتبهج الخطر [٢٥] .

لقد استحوذت شجرة النارنج على قلوب الشعراء ، وراحوا يصورونها من حيث لونها ورائحتها وطعمها وشكلها فهي (مرُّ الثمرة ، خشن القشرة ، أحمر اللون قانيه) [٢٦] .

ومن هنا فقد (تراوحت صورهم اللونية في وصفه بين الشكل النمطي التقريري الذي يقف مع اللون تشبيها عند حدِّ المشاكلة تارة ، وبين الطرافة والجدة تارة أخرى ، وبين التعبير الرائق والتصوير المحلِّق تارة ثالثة) [٢٧] . فقد أضفى عليها صوراً شخصية فجعلها تضحك زاهرة مثمرة بالذهب ، فابن خفاجة هنا يرتفع بنانجته وسمو بها نفسياً ، فيصورها متخيلا إياها فوق غصونها ذات شرف رفيع ، ونسب عريق ، مشخصاً أعناقها حاملة لها (ونفسياً لا يحيلنا الشاعر إلى لون النارنج الأحمر مباشرة ولا يصرح به ، وإنَّما يأتي لونها إيحاءً فيستقطب كل ما يحيط به من ألوان ، فثغر الشمس المشرق الأبيض يضاحكها ، وعين الماء بزرقتها تخطب ودها ، رانية، أمَّا هي فتجمع بين صفاء الماء وحمرة النار في إشراق وإبهار، يروق عين الشاعر فيغرق طرفه في مائها ، ويحرق في نارها ، ليتوحد دون الماء والنار معنوياً) [٢٨] فيصف ابن خفاجة النارنج وصفاً رائعاً جميلاً في أسلوب ساحر ، وخيال محلق ، وتعبير طريف إذ يقول في لزوم ما لا يلزم [٢٩] :

ومحمولةٍ فوقَ المناكبِ عِـزَّةً لها نسبٌ في روضةِ الحَزْنِ مُعْرِقُ
يُضاحِكُها ثغرٌ من الشمسِ واضحٌ ويلحظُهَا طرفٌ من الماءِ أزرقُ
وتُجلى بها للماءِ والنارِ صـورةٌ تروقُ فطرفي حيثُ يَغْرُقُ يُحْرَقُ

لو تأمَّلنا هذه المقطوعة لابن خفاجة نجد أنَّها متفقة من حيث الحروف والأجزاء ، فلا تنافر فيها ولا استكراه ، بل هي رقيقة حواشي الكلام ، ذات مرونة وسهولة ، لا توعُّر فيها ولا غرابة ، تتجلَّى فيها الخفَّة ،

وعليها مسحة من طراوة وطلاوة ورونق وبهاء ، سلسة النظام (حتَّى كأنَّ البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتّى كأنَّ الكلمة بأسرها حرف واحد فلا تشقُّ على اللسان وتكُده) [٣٠] .

ترتبط حياة الإنسان بشكل أساس بالنباتات ؛ لما لها من أهمية في تناول غذائه وكونها مصدراً لتربية مواشيه التي تعتمد عليها معيشته ، فضلاً عن كونها ميداناً لنزهته وترفيهه ومسرحاً للهوه ومربع غزله ، ومهما يكن من أمرٍ ، فإنَّ النبات يشغل جميع مرافق حياته ؛ لأنّ البيئة الأندلسية كانت ساحرة فاتنة ، بلغ الاهتمام بها حدَّ الهوس والتقديس (فقد كان أهل نجران يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد في كل سنة ، وإذا كان ذلك العيد علَّقوا عليها كل ثوب وجدوه ، وحلي النساء ، ثم خرجوا إليها فعكفوا عليها يوماً) [٣١] . وفي ضوء ذلك تنوَّعت رموز الثمار والأزهار فهي رمز لخدِّ الحبيبة تارة ، ولرائحة المحبوبة تارة أخ ،إذن للشجرة وثمارها قيمة خاصة في المجتمع العربي عامة والأندلسي خاصَّة ، (ويأتي هذا في المشهد الرمزي الذي يقدمه الشاعر وقد انبثق من انفعال وجداني خاص أوحت به تجربة حبٍّ أثارت الإحساس بكل ما حول صاحبها ، من مشاهد تهيء لهذه الإثارة دواعيها) [٣٢] .

التين

لقد شاعت أشجار التين في معظم أنحاء الأندلس ، ويتمتع تين شرق الأندلس بشهرة واسعة وسمعة طيبة ، وأفضل أنواعه ما كان ينبت في مالقة ، وكان يضرب المثل بحلاوته وعن تين شرق الأندلس يقول ابن خفاجة [٣٣] :

أما واهتصارِ غُصُونِ البلسْ وقدْ قلَّص الصبحُ ذيلَ الغلسْ
ومالَ يسيلُ جنى شُهْـــــهِ كما سال ريقُ حبيبٍ نعـــــسْ
لقد شاقَ من رائقِ المجتلى شَهيّ الجنى مُستطابِ النفسْ
فَهِمتُ له ببياضِ الثُّغُـــورِ وأحببتُ فيه سوادَ اللعـــسْ

العنب

ووصف ابن خفاجة فواكه أخرى مثل العنب ، ولكنه جاء بتشبيهات رائعة ، وغير مألوفة ولا متداولة عندهم ، مثل قوله جواباً عن شعر ورده ، وضمَّنه صفة عنب [٣٤] :

وأسودَ معسولَ المجاج لو أنَّـهُ لَمَى شَفَةٍ لمْ أروَ يوماً من القُبْـلِ
حكى ليلة الهجرِ اسوداداً وإنَّـهُ لأشهى وأندى من جّنَى ليلةِ الوصل

يصف لنا ابن خفاجة حلاوة هذا العنب ، وهو أحلى من لمى شفة المحبوب ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى نوع من التشبيه فريد من نوعه ، إذ شبه لونه من حيث السواد بلون ليلة الهجر لما لها من ألم في النفس الإنسانية ، بينما شبه طعمه أو ذوقه بأنَّه أشهى من جنى ليلة الوصل ، فالوصل فيه انشراح للنفس الإنسانية وغبطة ؛ لذاك وصفها بالحلاوة ، وكونها شهية .

لو ألقينا نظرة على هذين البيتين لذهبنا مذهب من يقول : (البيتان ناطقان بالتصوير الحسّي والمعنوي ، فالعنب أسود معسول الريق وهو في سواده الضارب إلى حمرة لو تحوَّل ناطقاً بالأنوثة إلى شفة لمياء ، لما ارتوى الشاعر من عذب رضابه لذَّة ، ثم يسمو الشاعر باللون الأسود روحياً ونفسيَّاً بين التجريد والتجسيد ، ليغدو سواده مشهاً معنوياً ونفسياً وقع ليلة هجر المحبوب على نفس حبيبه ، ويغدو طعمه أشهى لذَّة مما يجنيه المحبوب من ليلة وصل مع الحبيب ، وكأنَّه يرسم مفارقة تصويرية نفسية بين اللون والطعم ، جاعلاً الأسود في جانبه السلبي لليلة الهجر ؛ لما يحمله اللون الأسود من دلالات الظلمة والوحشة والهلع ، في مقابل دلالته التي تتجاوز سواده القائم على لذة طعمه التي تغدو جمالياً وروحياً أندى مما يجنيه من المحبوب من ليلة الوصل مع حبيبه ، وبذلك يقدِّم الشاعر بالأسود دلالتين متباينتين ، فهو في البيت الأول يحمل دلالة الطعم اللذيذ في اقترانه بلون العسل ، ودلالة اللذة الحسية في اقترانه بلون الشفاه (اللمى) ، في مقابل ما ذكرناه من دلالات سلبية في البيت الثاني ... ونحسب أنَّ دلالة السواد الحزينة في تشبيهه العنب بليلة الهجر كانت من كمال الوصف وطرافته) [٣٥]

الزهور والنوريات

تعدُّ الروضيات مادة أساسية لدى الكتاب والمؤلفين ، وقد أفردت لها كتب وبحوث علمية كثيرة ، والأندلس بحد ذاتها روضة كبيرة ، تنتشر فيها الزهور، وتمُّ فيها الأشجار، وتسودها الألوان البهية الزاهية ، والأوراق اللدنة الخضراء ، وهذا الموضوع يرتبط بالربيع والأمطار لقد انتخب ابن خفاجة الألفاظ الأكثر حيوية وتعبيراً ، إذ يقول في متنزَّه ، جاء بصور طريفة ،إذ كرس فنه على وصف الأشجار والحدائق ، (وكان أشدَّ ما يثيره من بينها منظر الأوراق الخضراء تتطاير في الهواء ، وتتناثر ظلالها على الأرض ن على حين يعتبر الزهور عنصراً مساعداً لتكملة اللوحة ن فهو

شاعر ريفي يرى الشجرة قبل أي شيء آخر، ودون أن يفرق بين هذه وتلك بصورة واضحة) [٣٦].

ولنستمع إليه في هذه القصيدة الرائعة يقول :

سقياً ليوم قد أنخت بسرحة ... ريَّاً تلاعبها الرياح فتلعبُ

سكرى يغنيها الحمام فتنثني ... طرباً ويسقيها الغمام فتشربُ

نلهو فترفع للشبيبة رايةٌ ... فيه ويسرج للتصابي مركب

ما زال ينعطف الخليج مجرَّةً ... فيه ويطلع للسلافة كوكبُ

ويكرُّمن كأس المدامة أشقرُ ... يجري ويصدر للزجاجة أشهبُ

والروض وجه أزهرُ والظلُّ فر ... عٌ أسود والماء ثغرٌ أشهبُ

حيث التقى نفس الخزامى والصبا ... وشدا يغنينا الحمام المطربُ

واهتزَّ عطفُ الغصنِ من طربٍ بنا ... وافترعن ثغر الهلال المَغْرِبُ

فكأنَّه والغيم ثوبٌ أدكنٌ ... طوقٌ على بُردِ الغمامة مُذْهَبُ

ثُمَّ انقضى من يوم أنسٍ فانطوى ... فعلى معاهده السلام الأطيبُ

لقد وقف ابن خفاجة الأندلسي إزاء الرياض والأزهار والنواوير والمياه والطيور وغيرها وقفة متأمِّل يكشف عن ألوانها الزاهية ، وكأنَّه رسَّام يجسم ألوانها في ضوء ما يشعر به ويحسُّه ذوقه المرهف ، (إنَّ شاعر الطبيعة حين يعمد إلى وصفها يمسك بريشة فنان استحضر معه كل ما يحتاج إليه من ألوان بهيجة ، بحيث يستطيع أن يجعل من أبياته لوحة نضرة تجلب الأنظار، وتخطف الأبصار، وهو في الروضيات أكثر احتياجاً إلى التنويع والتلوين ، ففي الطبيعة اخضرار واحمرار واصفرار ، وفيها أوراق نضرة ، وأغصان غضَّة مياسة) [٣٧] ، وقد وصف المقَّري ابن خفاجة بقوله : (وأبو إسحاق بن خفاجة كان أوحد الناس الأنهار والأزهار والرياض والحياض والرياحين والبساتين) [٣٨]

النيلوفر

لقد أورد الحميري أشعاراً فائقة لأهل التحصيل في النيلوفر، وقد أعجب الحميري بهذه التشابيه الغريبة والعجيبة ، والتمثيل الأنيق ، منها لطائفة من شعراء الأندلس منهم : أبو عمر

يوسف بن هارون الرمادي ، وأبو عامر بن مسلمة ، وأبو الأصبغ بن عبد العزيز ، وهي من الأبيات الرائقة التي تضمنت أوصافاً رائعة [٣٩] ، ولم يرد لابن خفاجة قطعة له ، في حين ضمَّ ديوانه بيتين له وهما : [٤٠] .

ونَيْلُوفَرٍ لم يدرِ ما مَسُّ حُرقةٍ بِحُبٍّ ولا ما لوعةٌ وغرامُ

يَهُبُّ مع الإصبح من سِنةِ الكرى ويُطْبِقُ ليلاً جَفْنَهُ فينـامُ

وقد عني بالشطر الثاني من البيت الثاني انغلاق أوراقه ليلاً ،(وقصد النحل دون غيرها ؛ لأنَّ النيلوفر يسمَّى قاتل النحل لطلبها أبداً أكل ما داخل أوراقه، فربما فعلت ذلك وقت انغلاقه فامتنعت من الخروج)[٤١] . (ولم تكن أوراقه الخضراء الطافية على الماء مناط اهتمام الشعراء، وإنَّما كان يجذبهم إليه زهوره البيضاء، تتوسطها نقاط سوداء، تتفتح نهاراً، وتنطوي على نفسها في المساء)[٤٢]

يحاول الشاعر الأندلسي تجسيد الظواهر الطبيعية مضيفاً إليها شيئاً من ذاته، (يتخطى الشاعر فيه حدود الظاهرة، ليتحول منها إلى ما وراءها أو ما حولها، وهذا الوصف أرقى من الوصف النقلي والمادي، وعلى الجملة ، فإنَّ النزعة النفسية تغلب على الوصف الوجداني، إذ يفيض بذات الشاعر على الأشياء، حتى تطالعنا بأحداق وملامح إنسانية تضحك وتبكي، تطرب وتشقى، وتعاني وطأة الوجود وتغتبط به، فكأنَّها إنسان متكامل سوي، يصف ذاته من خلال الأشياء) [٤٣].

الخيرية

يحاول الشعراء الأندلسيون التميز بين الخيري الأصفر والنمَّام ، ولكن من غير وضع حدٍّ فاصل ودقيق بينهما ، وخاصة ما يتعلق بعطرهما ، وهو لا ينشر أريجه إلاَّ ليلاً ، فلنحاول أوَّلاً أن نرى كيف صوَّر ابن خفاجة الخيرية ؟ فقد بثَّ فيها الحياة الإنسانية فجعلها تتحدث مع النسيم ليلاً ، وتبث أنفاسها العاطرة ليلاً ، فهو تشبه حبيبا يتسلل مساءً إلى حبيبه ، خشية أنْ يفتضح أمره ، فيختفي صباحاً ، فيقول واصفاً خيرية [٤٤] :

وخيرية بين النسيم وبينهـا حديث إذا جنَّ الظلام يطيبُ

لها نفس يسري مع الليل عاطرٌ كأنَّ له سرَّاً هناك يريـبُ

يدبُّ مع الإمساء حتَّى كأنَّما له خلف أستار الظلام حبيبُ
ويخفى مع الإصباح حتَّى كأنَّما يظلُّ عليه للصباح رقيبُ

إنَّ ابن خفاجة يجعل من الخيري عاشقاً ، يتحين الفرصة ليلاً ليلتقي بعشيقته ، لذلك يعمل متخفياً في الظلام ، متخذاً الليل ستراً لإخفاء شخصه ، وعندما يحين الصباح وينشر بياضه ، يخشى المحب افتضاح أمره ، وخوفاً من الرقباء ، لذلك اتخذ المساء جُنَّةً له من الوشاة والعذَّال وهي صورة غاية في البراعة والطرافة نمَّاها حسُّ الشاعر وزكاها خياله .

الشقيق

يطلق عليها شقائق النعمان ، ويقصد بها ما نسميه في أيامنا هذه الخشخاش البري ، وهي زهرة حمراء لها متك أسود [٤٥] :

يا حبذا والبردُ يزحفُ بكرةً جيشا رحيقٍ دونه وحريقِ
حتَّى إذا ولَّى وأسلمَ عنوةً ما شئت من سهل وذروة ريقِ
أخذ الربيعُ عليه كلَ ثنيةٍ فبكلِّ مرقبةٍ لواءُ شقيقِ

لم يتسع خيال ابن خفاجة ليصور لنا لونه الأحمر ، بل اكتفى بالكناية عن لونه بإشارته إلى الحريق ، وفي البيت الثالث بين كثرته بالمفرد لواء شقيق ، على العكس مما صوره أبو الحسن بن علي وابن حمديس الصقلي ، الذي يوقفنا على لون شقائق النعمان الحمراء في قضبها الخضراء، في حين أنَّ اللون عند ابن خفاجة كان باهتاً حائلاً أي عديم اللون ، وهذا ما جعل الصورة فاسدة ومهتزة ، خصوصاً أنَّ الشقيق معروف بحمرته ، (وهذه الصورة الهزيلة لا تدلُّ على إهمالهم الشقيق أو عجزهم عن إدراكه بنفس مشرقة وخيال بارع) [٤٦] .

وقال يصف شجرة منوّرة ، وماءً سائحاً : [٤٧] ،

يا رُبَّ مائسةِ المعاطفِ تزدهي من كل غصن خافق بوشاحِ
مهتزَّةٍ يرتجُّ من أعطافهـــــا ما شئت من كفل يموج رداحِ
نفضت ذوائبَها الرياحُ عشيَّـةً فتملَّكتها هزَّةُ المرتـــــاحِ
حطَّ الربيع قناعها عن مفـرقٍ شمطٍ كما تزبدُّ كاسُ الـرَّاحِ

لفَّاءُ حاك لها الغمام مُـلاءةً لبست بها حسناً قميصَ صباحِ
نضح الندى نوَّارها فكأنَّمـا مسحت معاطفها يمين سماحِ
ولوى الخليج هناك صفحةَ مُعرضٍ لثمت سوالفها ثغورُ أقـــاحِ

لم يولع الأندلسيون بالزهور والثمار والحدائق التي تلبي ذوقهم ، وتشبع نهمهم ، بل نجدهم يحبون الأشجار والبساتين والغيطان والوهاد والسهول الممرعة ، ويظهر أنَّ الشعراء الأندلسيين لم يصوروا الشجرة منفردة ، بل راحوا يصورونها في منظر عام ، وفي فصل الربيع ، تعبث بغصونها الرياح ، ولا ينسى الشاعر الغمام الذي لفَّها بعباءة ، وللندى حصته من هذا الوصف ، وكذلك لم ينس الشاعر الخليج الملتوي ، وكانت قصورهم تسخو بأشجار الزيتون (ونلحظ أنَّ الحديقة عندهم دائماً مكتظة بأشجار الفاكهة أو الزينة ، خاصَّةً عند ابن خفاجة ، عاشق الحدائق والملقب بالشاعر الجنَّان ، وصوروا أيضاً المياه الجارية من ترع وأنهار وقنوات إلى جانب الأدغال الظليلة والوديان) [٤٨] ، فضلاً عن الليل والصباح والمساء والرياح والغيوم والنجوم والكواكب والقمر في مراحل نموه ، وكل مظاهر الطبيعة الخلابة ، من منيات ، وقد أفردت لذلك كتب في هذا الخصوص ككتاب (زهر البستان) للطجناوي ، درس فيه أشجار التين والزيتون والرمان والخوخ والبرقوق والمشمش والتفاح والكمثرى والكرز والتوت والأرز والبرتقال والليمون واللوز والنخيل والموز والجوز والكروم.

ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن الثمار الأزهار وأشجار، وقد يغني الشاهد عن الغائب لننتقل بعد ذلك إلى الحيوان .

الحيوان

الحيوان لفظ يقع على المخلوقات ، ولا يشمل الإنسان ، وقد صوره الشعر العربي في مختلف عصوره ، ولقي موضوع الحيوان وطبائعه أهمية بالغة في الدراسات القديمة الحديثة ، فالجاحظ أفرد كتاباً ضخماً سمَّاه (الحيوان) وقد قل نظيره في التراث العربي وربما العالمي والدميري ألف كتابه (حياة الحيوان الكبرى) ، فإذا انتقلنا إلى العصر الحديث ألفينا عدداً من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع منها : كتاب حازم عبد الله خضر (وصف الحيوان في الشعر الأندلسي / عصر الطوائف والمرابطين ، وكتاب الدكتور حسين جمعة (الحيوان في الشعر الجاهلي) ، (يلوح مما تقدم أنَّ الحيوان لم يكن مستقلاً في الجود عن الجاهليين ،

وقد أظهرت قصائدهم رحابة البيئة البدوية ، وسخرت الحيوان لخدمتهم ، وان ارتقى عند عدد منهم إلى مرتبة الرفيق ، في رؤية تتجاوز الواقع إلى عالم نفسي خفي غير مرئي) [٤٩] .

يحتل وصف الذئب مساحة واسعة عند الشعراء الأندلسيين ، وحظي باهتمام بالغ في أوصافهم ، كالسرعة والقوة والمراوغة والمخاتلة ووصف غبرته وكدرته ، وما يرمز إليه من معانٍ ودلالات ، وتتجلَّى صورة الذئب ، وتبدو أبعد غوراً حين نتأمل نصوص ابن خفاجة ، ولعلَّ ذلك يرجع إلى رغبتهم في مجارات الشعراء أهل المشارق الذين دأبوا منذ العصر الجاهلي يفردون قصائد ومقطعات خاصة بالذئب أو يأتي وصفهم له ضمن قصائد المدح والفخر ووصف الطبيعة ، وقد أشار إلى ذلك بعض الباحثين أثناء حديثه عن الشعر والشعراء في إشبيلية قائلاً : (... ولم تقتصر عناية الإشبيليين على وصف الطبيعة الصامتة فحسب بل كان لهم نشاط واهتمام في جوانبها الناطقة أيضاً) [٥٠] .

ومن الجدير بالذكر أنَّ المشارقة قد عنوا في شعرهم بوصف الذئب ، الذي يتواجد بكثة في مهامه البلاد العربية وفيافيها ، (وقد صور الشعراء علاقة هذا الحيوان هذا الحيوان بهم ونظروا إلى هذه العلاقة من خلال جوانبها المتعددة فجمعوا مثلاً بين غربتهم وغربة الذئب في الصحراء ، وبين ما يعانون من ضيق وشدة وجوع ووحشة وتشرد وبين الذئب الذي يعاني مثلهم هذه الأمور ، ... وصوروا كذلك ظروفهم وظروف هذا الحيوان من حيث علاقتها بالطبيعة الزاخرة بالمشاهد والأشياء والأحياء المؤثرة والبيئة بما فيها من ظروف الحر الشديد والبرد القاسي ، الذي لا يحتمل ويكون له آثار في سلوك هذا الحيوان وتصرفاته وبخاصة إذا كان يعاني فضلاً عن ذلك جوعاً شديداً ، فإذا التقى الشاعر به وكانت حالهما سواء ، عبَّر عن ذلك بصورة أدبية رائعة ولوحات فنية دقيقة) [٥١] . فلا يكاد باحث يعالج الشعر العربي إلاَّ وأشار إلى الذئب في بحث منفصل كبحث الدكتور عناد غزوان : (قراءة في أدب الذئب عند العرب) [٥٢] .

ويسجل لنا جنان الأندلس وأديبها وشاعرها المشهور ابن خفاجة قصائد كانت من أقوى العوامل والأسباب على شهرته وعلامة من علامات تفوقه في وصف الذئب وغيره من الحيوانات المنتشرة في بيئة الأندلس ، وصفاً مستقلاً في حزمة من الأبيات ، ركز فيها الشاعر على أوصاف الذئب المعنوية التي تتجلى في حواسه من شعوره بالجوع وطلبه للمواضع التي يتوفر فيها الطعام، وكيفية الحصول عليه ، أو ما يرتبط منها بصفات الذئب الظاهرية الجسمية كلون جسمه ، وأوضاع سيره وعدوه ، ونظرات عينيه ، فضلاً عن شدة بطشه وقوة فتكه وترويع الناس والحيوان حتى صار مضرب المثل ، يقول ابن خفاجة : [٥٣] .

سَرَى ترتمي به رَكضاً كلُّ موجةٍ تَرامى بها بحرٌ من الليل أخضرُ

ولا صاحبٌ إلاَّ طريرٌ مُهنَّـــدٌ ومعتدلُ لدنُ المهزَّةِ أسمـــرُ
وأطلسُ زوَّارٌ مع الليل أغبـشٌ سرى خلف أستار الدُّجى يتنكرُ
تثاءب من مسِّ الطَّوى فهو يشتكي فيعوي وقد لفَّتْه نكباءُ صرصَرُ
ودون أمانية شرارةُ لهـــــذمٍ يقلِّب فيها مثلها حين ينظـــرُ
فمن جوعةٍ تُغريه بي فهو يدَّني ومن روعة تُثنيه عنِّي فيُقْصرُ

تتجلَّى في هذه الأبيات أوصاف الذئب المعروفة من ركضه في الليل البهيم طلباً للطعام ، وليس مع الشاعر إلاَّ سيفه ورمحه ، يذود بهما عن نفسه في مواجهة هذا المفترس الخطير ،ثم صوَّر لونه الأطلس وتستره خلف سدف الليل الحالك ، هذه المفاجأة مع هذا الضاري الذي جمع صفات عديدة يحسُّ الشاعر وجودها في نفشه وأصداءها في أخلاقه وطبائعه كالحركة السريعة والقوة الشديدة فضلاً عما يعانيه من آلام الجوع والظمأ والبرد الشديد والوحشة ، ... وما يكون بين الاثنين من صراع . فالذئب في هذه الأبيات عاجز عن تحقيق أمله في الحصول على ما يسد رمقه ، فهو مواجهة مع شخصٍ شجاع غير خائر القوى ولا هيابة ، لايساور نفسه الخوف والتردد والضعف ، وابن خفاجة يتكأ على مبدأ المزج والتفاعل بين الصفات بذوق فني رفيع وموهبة أدبية رائعة [٥٤] .

الكلب

يعد الكلب من أهم الحيوانات في حياة العربي سواء أكان في المشرق أم في الأندلس ، وقد اتخذ العربي الكلب وسيلة للحماية والحراسة في الحل والترحال والحضر والمدر ، أو اتخاذه للصيد ، أو لطرد الضواري المفترسة ، أو لرعي الأغنام ، ومن هنا تأتي أهميته في حياة الأدباء والشعراء ، ولهذه الأهمية فقد أفردت له دراسات وبحوث خاصة ، حتَّى صار مضرب المثل في الوفاء والإخلاص ، وظهر نوع من الشعر في العصر العباسي يدعى بشعر الطرد ، كما هو معروف عند أبي نواس وابن المعتز وابن هرمة وأبي نخيلة وغيرهم (فإذا انتقل الحديث إلى طرديات أبي نواس وجدناه مبرزاً مجدداً في هذا الفن الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الترف والغنى والنعمى) [٥٥] .

ولا يخفى ما للكلب من أهمية عند الأدباء وتصويرهم لسرعته وتصرفاته وجماله وحركاته وبهذا احتلَّ المكان الأرفع شعر الشعراء الأندلسيين في عصر الطوائف والمرابطين ، وقد وصفوه بالسرعة والقوة والشدة عند الانقضاض على الفريسة في نصوص شعرية مفردة لهذا الغرض أو تأتي ضمن قصائد المدح والفخر ووصف الطبيعة / منها قول ابن خفاجة في وصف كلب مطوق العنق بالبياض [٥٦] :

وأخطلَ لو تَعاطى سَبْقَ برقٍ لطارَ من النجاحِ به جَناحُ
يسوفُ الأرضَ يسألُ عن بنيها فتُخْبِرُ أنفَهُ عنها الرياحُ
أقبُّ إذا طردتَ به قنيصاً تنكَّبَ قوسَهُ الأجلُ المُتاحُ
أضلَّ برأسهِ ليلٌ بهيمٌ فشدَّ على مُخنَّقِهِ صَباحُ

لو تأملنا هذه الصورة لوجدنا تشابهاً كبيراً في الصفات بينه وبين الخيول ، فضلاً عن ذلك ما في هذه الصورة من الدقة في الخيال لحركات هذا الحيوان وأوضاعه المختلفة في العدو والملاحقة، بما في ذلك قدرة الشاعر على الإتيان بصفات الكلب ممزوجة بصفات الجواد والفرس المعدان للحرب والمبارزة ، (وكذلك فيما يلاحظ في ثنايا الصورة المزج بين الصفات الظاهرة وهي اللون ، ومظهر الجسم وقوة حاسة الشم التي أشار إليها بإخبار الأنف عبر المسافات البعيدة بواسطة الرياح ، وقد تتسع الصورة حين يحاول الشاعر نفسه أنْ يعالجها بشيء من التفصيل ، وبسط القول مؤكداً على العناصر الرئيسة ، ... وفي مقدمتها اللون المكون من البياض والسواد والسرعة في الجري مع القدرة الفائقة على الانقضاض واللحاق بالفريسة مهما كانت سريعة قوية غيرمبال بما يعتريه من الصعاب في الطريق) [٥٧] .

الكبش

لم يترك الشعراء مظهراً أو مشهداً من مشاهد الطبيعة إلاَّ وصوروه بدقة متناهية ، يرفدهم في ذلك خيال خصب ، ومقدرة فنية رائعة ، قادرة على رسم الحركات والهيئات بدقة متناهية ، مهما كان الموضوع مهماً أو غيرذي جدوى ، كوصف الكبش مثلاً ، الذي قال فيه ابن خفاجة[٥٨] .

ألا حبَّذا عيدٌ تلاقت به المنى فجدد من عهد الشباب مشيبُ
وأعرض في حسن المليحة أملحٌ يلاعبُ ربَّات الحجالِ ربيبُ
وسوداء أمَّا نسبةً فهي نعجةٌ تروق وأمَّا نِصبةً فنجيبُ
أقام بها ما بين ظلٍّ ومـوردٍ مراد ببطن الواديين خصيبُ
أتتك وأفياء الشباب تظلُّـها وهل زار إلاَّ في الظلام حبيبُ
فطفتَ بها تمشي الهوينى وإنَّما تمشَّى إليها وهي تجهلُ ذيبُ

نلاحظ أنَّ هذه الصورة قد استهلها الشاعر بذكر العيد ، وأثره في بعث الذكريات للشباب ثم يردف الشاعر حركة الكبش مع النعاج ، يطلق عليهن ربات الحجال ، وكأنَّهنَّ نساء ، ولكن قد يلاحظ الباحث أيضاً وصفاً للنعجة السوداء ، كل ذلك ممزوج بالطبيعة الخصبة الممرعة ، ونحن إذا نظرنا إلى المعاني

المبثوثة في هذه القطعة نلاحظ أنَّها غير بعيدة عن الأفكار الموجودة في المشرق ، بيد أنَّ الأندلسيين أسبغوا عليها (من بيئتهم وفنونهم وسمو ذوقهم ورقة طباعهم وسهولة منازعهم مما جعلها تبدو في صورة جميلة لا تخلو من الجدة والطرافة والقدرة الفنية والبراعة الأدبية) [٥٩] .

الحمام

شغل الحمام حيزاً واسعاً من مساحة الشعر العربي منذ القديم وحتى عصرنا الحالي ، واهتم الشعراء بوصفه بقطع شعرية وقصائد ، سواء ما يتعلق بألوانه الزاهية وما تعكسه من مظاهر الجمال والبهجة والفرح ، أو ما يسببه من حزن أو يثيره من لوعة الفراق والنأي عن الأوطان ، أو انقضاء عهد الشباب وحلول المشيب ، وغالباً ما يحرص الشاعر على رسم صورة شعرية معبرة يربط فيها بين حالة الحمام وبين حالته النفسية المتأزمة ، ولم يتمالك الشاعر نفسه حتّى راح يعبر عن لوعته وبكائه وما كان لذلك من صدى في الطائر الذي راح يشدو وبهذا تكاملت الصورة القائمة على البراعة الفنية وليف الألوان وإخراجها في أحسن صورة وأبدع وصف [٦٠] . ومن السمات التي يمكن أنْ نضيفها إلى الصورة الشعرية هو ما لاحظه غرسيا غومس في مجال حديثه عن تأليف الشاعر بين المتباعدات وتمهله في التعبير عن أفكاره ، إذ يقول : (بيد هذا التباطؤ والتراخي في التعبير لا يحول قبل أنْ يختمر على مهل بين الشاعر وبين أن يبعث في تراكيبه التشبيهية حيوية وسرعة عاديين ، فينتقل بذهنه انتقالات سريعة يلم فيها بالمتباعدات ...) [٦١] .

ولا بدَّ من أنْ نستعرض بعض النصوص التي نظمها ابن خفاجة الأندلسي ، وهو شاعر الطبيعة ، قد غلب عليه قسم أوفر من قصائد ومقطعات وصف الحمام ، وبخاصة ما يتعلق بالشكوى والتعبير عن آلامه وأحزانه متوسلاً في ذلك لتصوير صفات الحمام ، إذ جعله عماد التعبير عن انفعالاته ومشاعره وأحاسيسه ، بسبب ما كان ينتابه من نزعة ذاتية وشخصية تتجلى فيها المصاعب والمشكلات الدائمة في حياته ، وفي بدايتها إقراره على جسامة الحزن ، وغزارة آلامه بسبب ما انتابه من بعد وفراق عمن يحب ، وكان نوح الحمام باعثاً ومحفزاً له على طول الزمان والمكان ، إذ يقول في الدالية الشهيرة : [٦٢] .

أبى البرقُ إلاَّ أن يحنَّ فـؤادُ ويكحلُ أجفانَ المحبِّ سُهادُ
فبتُّ ولي من قانىء الدمع قهوة تدارونم إحدى يدي وسـادُ
تنـوح لي الورقاء وهي خليـةٌ وينهلُّ دمعُ الحزنِ وهو جمادُ

لعل أهمَّ ما يمكن ملاحظته في شعر الطبيعة الأندلسي ، أنَّه يأتي ضمن عناصر البيئة الندية، حيث السحب والأمطار والرياح وتنوح الأغصان ، وبعض مظاهر الطبيعة الخلابة ،كالبرق وأثره في بعث كوامن الحزن ، وإثارة الشجن ، فضلاً عن نواح الحمام ، وبذلك يكون المشهد مكتملاً ، والصورة تامة من جميع أطرافها . ونتأمل صورة أخرى لابن خفاجة في هذا الطائر يقول فيها : [٦٣] .

أُناجي سوادَ الليلِ فيهِ بلوعةٍ تحدَّث عنها الَّطير فجراً فهينما

وأسحبُ أذيال الدُّجى فيهيجني حمامُ تداعى سُحرةً فتكلَّما

وكنت على عهد السُّلوِّ يشوقني حُسامٌ تغنَّى لا حمامٌ ترنَّما

من يتأمَّل هذه الأبيات نجد الشاعر يستهلها الشاعر بالحديث عن نواح الحمام وتغنيه ، وما يسببه من إثارة عواطفه وأحزانه ولواعجه ، والرق بين النصين أنَّ الشاعر في الأول كان رقيق المشاعر مرهف الإحساس ، لم يكن جلداً ، فهو يبكي ويذرف الدموع ، بينما نلاحظه في الثانية أكثر جلداً وأقوى صبراً وأشد تمسكاً وشكيمة ، معظم هذه الصور مرتبطة بسواد الليل ومظاهر الطبيعة الأخرى . ومع كل ذلك يلفه الحزن ، وتنتابه الخطوب ، وتستعر نار الشوق في كبده ، بينما تهلُّ دموعه ماءً وفي بعض الأحيان تهلُّ دماً . ولعلَّ ابن خفاجة قد عكس الصورة المتعارف عليها عند الشعراء ، وهي أنَّ الحمام كان مبعث حزن وإثارة لمشاعره ، بيد أنَّ ابن خفاجة في بعض نصوصه كان معلما للحمام كيف تنوح ، وهذه فكرة جديدة لم نجد لها نظيراً عند غيره من شعراء الأندلس . وقد يطول بنا الحديث عن نماذج الشعر في وصف الحمام ونواحه ، ولكننا نقطع دون الغاية ونكتفي بهذا القليل ، ليدل الشاهد على الغائب ، فله قصائد ومقطعات كثيرة في هذا الخصوص . وهي متشابهة في المزج بين المعاني والصور . ولم تقتصر الدراسة على هذا الفيض من شعره بل بقي هناك من روائع شعره الكثير مثل قصيدة الجبل التي حللها الأستاذ الدكتور حسين يوسف خريوش ، تحليلاً رائعاً وفق رؤية إيمانية ، وكذلك قصائده في المياه والنهر والإنسان إلى غير ذلك من شعره النفيس العطر كأريج بيئة الأندلس وخضرتها البهيجة .

هوامش البحث

١- ينظر عيار الشعر لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق وتعليق محمد زغلول سلاَّم ، منشأة المعرف ، بالإسكندرية ، د.ت. ص: ٢٣-٣٠ . ينظر كذلك أسس النقد الأدبي في عيار الشعر ، الدكتور فخر الدين عامر ، عالم الكتب ، د.ت. ص : ٢٦-٣٠ .

٢- البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون الطبعة الرابعة ، ج١/ مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٤٨ ، ص : ٦٦-٦٧ .

٣- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل الصابي ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦ ، ص: ٣٠ وما بعدها .

٤- العمدة في صناعة الشعر وآدابه ، تأليف الإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١ ، ج١/ ص :١٢٧ .

٥- مجلة تهامة ، العدد / ٦ / يناير ٢٠٠٣ / ص :٦٥ ، الإنسان ، الطبيعة ، الكون عناصر متضافرة في شعر ابن خفاجة ، تأليف ج/ س/ بوركل ، ترجمة وتقديم الدكتور خالد لفته ، كلية التربية ، جامعة الحديدة .

٦- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ ، القسم الثالث ، ص :٤٠١ .

٧- ديوان ابن خفاجة ، القطعة ٣٠١ص : ٣٦٤,

٨- المصدر نفسه ، القطعة ٨٨ ص: ١٣٦ .

٩- م.ن.ص : ١٢ .

١٠- م.ن.ص: ١٣ .

١١- م.ن. ص: ١٤,

١٢- م.ن.ص:١٤

١٣- م.ن.ص: ١٥,

١٤- م.ن.ص: ١٦-١٧ .

١٥- م.ن.ص: ١٠-١١ .

١٦- م.ن. ص: ٢٣ .

١٧- في الأدب الأندلسي ، جودة الركابي ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، بمصر ، ١٩٦٦م ص : ١٢٤ . ينظر الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، الدكتور منجد مصطفى بهجت ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٨٨ ، ص : ٢٩٠-٣٠٢ .

١٨- ديوان ابن الرومي ،

١٩- ديوان ابن المعتز، قام على طبعه وحل غريبه محيي الدين الخياط ، المكتبة العربية ، دمشق ، ١٣٧١هـ ، ص : ٢٩٤ .

٢٠- في الأدب الأندلسي ص : ١٣١ .

٢١ – ديوان ابن خفاجة ، القصيدة ٧٣ ، ص : ١٢٣ .

٢٢- م.ن: القصيدة ٣٠٣ ص : ٣٦٤-٣٦٥ .

٢٣- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، ١٩٦٨ ج١ ص : ٣٢٣ .

٢٤- ديوان ابن خفاجة ، القصيدة ١٩ ،ص : ٦٨ .

٢٥- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، الدكتور مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٩ ص : ٢٩٧ .

٢٦- الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ص : ١٧٤ .

٢٧- صورة اللون في الشعر الأندلسي دراسة دلالية وفنية ، ص ك ٦٩ .

٢٨ - م .ن . ص : ٦٩-٧٠ .

٢٩ – ديوان ابن خفاجة ، القصيدة ٢٣ ، ص : ٧٠ .

٣٠- البيان والتبيين: ٦٦-٦٧ .

٣١ – السيرة النبوية ، لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وزميليه ، مطبعة منير، بغداد ١٩٨٦ ج١/ ص : ٣٣ .

٣٢- ملامح الرمز في الغزل العربي القديم دراسة في بنية النص ودلالته الفنية ، أ.د. حسن جبار محمد شمسي ، الطبعة الأولى دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨/ ص : ١٣٥ . ينظر كذلك الطبيعة في الشعر الجاهلي للدكتور نوري حمودي القيسي ، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٧٠ / ص : ٨٣ وما بعدها .

٣٣- ديوان ابن خفاجة ، القطعة ١٤٤ . ص : ١٩١ .

٣٤- م.ن. ص : القطعة ٢٧٩ ، ص : ٣٥٠ .

٣٥- صورة اللون في الشعر الأندلسي دراسة دلالية وفنية ص : ٧٤ .

٣٦ – الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ملامحه العامة ، وموضوعاته الرئيسية ، وقيمته التوثيقية ، ص : ١٤٥ وما بعدها . ينظر كذلك الأدب العربي في الأندلس ، الدكتور عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص : ٢٨٤-٣١٨ .

٣٧- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، ص : ٢٥٩ .

٣٨- نفح الطيب ص : ٦٨١ .

٣٩- البديع في وصف الربيع ، لأبي الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر الحميري ، حققه وقدَّم له الدكتور علي إبراهيم كردي ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ ،ن ص : ١٤٥-١٥٠ .

٤٠ ديوان ابن خفاجة ، رقم القطعة ٢٩٧ ص : ٣٦٢ .

٤١- البديع في فصل الربيع ، ص : ١٤٦ .

٤٢- الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ص : ,١٦٠

٤٣- فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ، إليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠ ، ص : ١١ .

٤٤- ديوان ابن خفاجة ، القطعة ٤٢ ، ص : ٨٢ . ينظر صورة اللون في الشعر الأندلسي ، ص : ٢٩-٣٠ ، والشعر في عصر الطوائف ، ص : ١٥٤-١٥٥ ز

٤٥- ديوان ابن خفاجة ، القطعة ٢٨٧ ، ص ك ٣٥٥ .

٤٦- البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر الأندلسي ن عصر ملوك الطوائف ، الدكتور سعد إسماعيل شلبي ن دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، د.ت. ص : ١١٦ .

٤٧- ديوان ابن خفاجة ، القطعة ٢٢٢ ، ص : ٢٨٠-٢٨٢ ،

٤٨- الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ص : ١٤٥ وما بعدها .

٤٩- الحيوان في الشعر الجاهلي ، الدكتور حسين جمعة ، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١٠ ، دمشق ، سورية ، ص : ٢٣ .

٥٠- الشعر في ظل بني عباد ، الدكتور محمد مجيد السعيد ، الطبعة الأولى ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٧٢ ، ص : ١٢٢ .

٥١- وصف الحيوان في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، الدكتور حازم عبد الله خضر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٧ . ص :٧٩ .

٥٢- مجلة المورد ، قراءة في أدب الذئب عند العرب ، الدكتور عناد غزوان ،العدد الثامن ، ١٩٧٩ .

٥٣- ديوان ابن خفاجة ، القصيدة ١٣٤ ، ص : ١٨٠ .

٥٤- ينظر وصف الحيوان في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، ٨١-٨٤ .

٥٥- الشعر والشعراء في العصر العباسي ، الدكتور مصطفى الشكعة ن دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ن ١٩٧٥ ، ص : ٣١١ .

٥٦ – ديوان ابن خفاجة ، القطعة ٨ ،ص : ٥٤ .

٥٧- وصف الحيوان في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، ص : ٩٠-٩١ . ينظر

تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٨ ، ص : ١٩٣- ٢١٥ .

٥٨- ديوان ابن خفاجة ، القطعة ١١١ ،ص : ١٥٢-١٥٣ .

٥٩- وصف الحيوان في الشعر الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ، ص : ١١١ .

٦٠- تاريخ الفكر الأندلسي ، آنخل كونثالث بالنثيا ، ترجم الدكتور حسين مؤنس ، ١٩٥٥ .ص : ٨٨ .

٦١- الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه ، غارسيا غومس ، ترجمة الدكتور / حسين مؤنس ، سلسلة الألف كتاب ، القاهرة ، د.ت. ص :٩٦ .

٦٢- ديوان ابن خفاجة ، القطعة ٨٢، ص : ١٣١-١٣٢ .

٦٣- م.ن. القطعة ١٣٠ ص : ١٧٢ .

المراجع والمصادر

١- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، الدكتور منجد مصطفى بهجت ، دار الكتب للطباعة والتوزيع ، جامعة الموصل ، ١٩٨٨

٢- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، الدكتور مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، الطعة الرابعة ، ١٩٧٩ .

٣- الأدب العربي في الأندلس الدكتو ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦,

٤- البديع في فصل الربيع ، لأبي الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر الحميري ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى ، دمشق ، ١٩٩٧ .

٥- البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف ، الدكتور سعد إسماعيل شلبي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، د.ت.

٦- البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج١/ الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

٧- تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٨ .

٨- تاريخ الفكر الأندلسي، آنخل كونثالث بالنثيا، ترجمة الدكتور حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥٥.

٩- الحيوان في الشعر الجاهلي ، الدكتور حسين جمعة ، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ٢٠١٠

١٠- ديوان ابن خفاجة الأندلسي ، الدكتور السيد مصطفى غازي ، منشأة المعارف ، بالإسكندرية ,١٩٦٠

١١- ديوان ابن الرومي ،

١٢ - ديوان ابن المعتز قام على طبعه وحل غريبه محيي الدين الخياط ، المكتبة العربية ، دمشق ١٣٧١ هـ .

١٣ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لأبي الحسن علي بن بسَّام الشنتريني ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٠ .

١٤- الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه ، غارسيه غومس ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، سلسلة الألف كتاب ، القاهرة .

١٥- الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية هنري بيريس، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ,١٩٨٨

١٦- الشعر في ظل بني عباد ، الدكتور محمد مجيد السعيد ، الطبعة الأولى ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٧٢ .

١٧- الشعر والشعراء في العصر العباسي ، الدكتور مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٥ .

١٨- صورة اللون في الشعر الأندلسي دراسة دلالية وفنية ، الدكتور حافظ المغربي ، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩ .

١٩- الطبيعة في الشعر الجاهلي ، الدكتور نوري حمودي القيسي ، دار الإرشاد للطباعة والنشر بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ .

٢٠- العمدة في صناعة الشعرة آدابه ، تأليف الإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ، منشورات محمد علي بيضون ن دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ .

٢١- عيار الشعر لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق وتعليق محمد زغلول سلام ، منشأة المعرف ، بالإسكندرية ، د.ت.

٢٢- فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ن إليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دار الكتاب المصري ن القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠ .

٢٣- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال الحسن بن عبد اله بن سهل الصابي، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ .

٢٤- ملامح الرمز في الغزل العربي القديم دراسة في بنية النص ودلالته الفنية ، الدكتور ، حسن جبار محمد شمسي ، الطبعة الأولى ، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨

٢٥- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تأليف الشيخ أحمد بن محمد المقَّري التلمساني ، حققه الدكتور إحسان عباس ، دار صادر، ١٩٦٨ .

٢٦- وصف الحيوان في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، الدكتور حازم عبد الله خضر، دار الشؤون الثقافية ، وزارة الإعلام ، بغداد ، ١٩٨٧ .